



## رينر ماريا ريلكة

### أمير شعراء ألمانيا



ولد ريلكة فى براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا سنة ١٨٧٥ وهو ينتمى إلى أصل نمساوى ، ومن المعروف أن دعاة القومية الألمانية كانوا يعتبرون النمسا دائماً جزءاً لا يتجزأ من ألمانيا ، وقد قام هتلر بضم النمسا إلى ألمانيا سنة ١٩٣٨ وبقيت جزءاً من الدولة الألمانية حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ .

وبعيداً عن القضايا السياسية ، فإن الشاعر ريلكة رغم ميلاده فى براغ ورغم امتداد أصوله إلى النمسا ، يعتبر شاعراً ألمانياً ، بل إنه شاعر ألمانيا

الأول فى العصر الحديث ، فقد كانت لغته هى الألمانية وهى اللغة التى كتب بها أدبه كله ، شعره ونثره .

نشأ ريلكة فى أسرة متوسطة لا تشكو من الفقر ، ولكنها فى الوقت نفسه لا تعرف الترف ، وكان طوال حياته يشعر بالأمان حيث كان يحصل على دخل محدد ثابت يأتيه من أسرته ، وقد وفر له هذا الاستقرار الوقت لكى يتفرغ لفنه وأدبه .

تعرض فى طفولته لتجربة كان لها تأثير على حياته وتكوينه النفسى ، فقد ولدته أمه بعد وفاة أخت له كانت هذه الأم تحبها أشد الحب فتعلقت به أمه بعد وفاة أخته تعلقاً عاطفياً عنيفاً ، وألبسته ملابس الفتيات وربطت له شعره برباط حريرى ، وظلت تعامله وكأنه بديل لأخته التى ماتت وهى صغيرة، وقد كان لهذه التجربة الأولى فى حياته أثرها النفسى الكبير إذ دفعه إلى العزلة والانطواء والشعور بالغرابة عن العالم، وجعلته شديد الحساسية حتى نهاية حياته.

وفى سن الخامسة بدأ " ريلكة " يتحرر من ملابس الفتيات ، ومن الصورة التى فرضتها عليها أمه .

دخل ريلكة المدرسة وبدأ نبوغه يظهر ، فقد كان متفوقاً فى كل مراحل التعليمية ، التحق ريلكة بالمدرسة العسكرية ، ونجح فيها ثم تخرج ضابطاً فى الجيش الألماني ولكنه اكتشف أنه لا يصلح للعمل العسكرى ، ثم اتجه بعد ذلك لدراسة الأدب والفن ، وقضى فى هذه الدراسة ثلاث سنوات وانتهى منها عام ١٨٩٩م وكان وقتها فى الرابعة والعشرين من عمره، وبعد إنهائه دراسته قرر التفرغ للشعر الذى ملأ كيانه ، وكان الشئ الوحيد الذى يثير اهتمامه فى العالم كله وحتى نهاية حياته، لم يشغل ريلكة

نفسه بشيء غير الشعر ، فقد أعطى له كل الوقت والجهد ، وأصبح بذلك له شأن عظيم فى هذا الاتجاه .

بدأ ريلكة يبحث عن التجارب الحقيقية فى الحياة لكى يفتح عقله ويزيد من موهبته ومن هنا انطلق ريلكة فى رحلات إلى أوروبا يبحث ويلتقى بعظماء الأدب والفن فى عصره ، ووصل برحلاته إلى روسيا، حيث التقى بأعظم أدبائها ومنهم تولستوى صاحب رواية الحرب والسلام وغيرها من روائع الأدب.

وقد تأثر ريلكة بتولستوى وعبر عن ذلك فى مجموعة شعرية أصدرها ريلكة بعد عودته من روسيا ، وأسمها باسم " الساعات " وقد امتلأت هذه المجموعة بمشاعر الحزن ، وبؤس الإنسان والمصير الذى يلاقيه الإنسان ، وتطرق أيضاً إلى الموت وهو المصير المحتوم فى النهاية.

وفى باريس تعرف على الفنان الكبير رودان وهو النحات العالمى صاحب تمثال " المفكر " وقد أقيم له متحف فى باريس يضم أعماله ، وعندما تعرف به ريلكة تعلق به وأعجب به كثيراً حتى أنه عمل سكرتيراً له لمدة قليلة.

وفى مرسى رودان تعرف ريلكة على إحدى تلميذات النحات الكبير رودان وكان اسمها "كلارا فستيوف" فأحبها وتزوجها وكانت كلارا تمتاز إلى جانب نبوغها الفنى بالجمال الساحر. وعمّ الحب والتفاهم الذى جمع بينهما، إلا أن زواجهما لم يدم طويلاً ، ولعل السبب فى هذا الانفصال يرجع إلى انشغال الزوجين بفنهما ، فكان كل منهما يعيش حياة مستقلة مليئة بالأحلام، ولم يستطع أحد منهم التنازل عن حياته الفنية من أجل الآخر وانفصل المحبان بعد علاقة زوجية قصيرة.

ابتعد ريلكة عن باريس بصخبها وضجيجها والتي خرج منها بحب فاشل وزواج لم يدم طويلاً.

اتجه ريلكة برحلاته إلى الشرق ، فقام بزيارة الجزائر وتونس ثم مصر ، وفى مصر بقى ثلاثة شهور من يناير إلى مارس عام ١٩١١ م ، وأحس ريلكة فى مصر بالدفء ، والشمس الساطعة ، والعراقة ، والأصالة ، والآثار الخالدة ، وكل هذا ترك فى نفسه آثاراً شديدة العمق ، وأعجب كثيراً ببساطة الناس ، والهدوء الذى كان موجوداً بمصر فى ذلك الوقت .

عندما جاء ريلكة إلى مصر كانت مصر خاضعة للاحتلال البريطانى ولم تمض سنوات قليلة حتى اشتعلت الحرب العالمية الأولى ووقفت تركيا مع ألمانيا فى هذه الحرب.

شعر "ريلكة" بالود والمحبة فى مصر، ولأن ألمانيا من البلاد التى كانت تعارض وتتصدى للمطامع الإنجليزية ، لقى ريلكة المزيد من الحب والمودة. عاد ريلكة بعد زيارته التى استمرت مائة يوم وقد حمل معه من هذه الزيارة تذكراً عزيزاً وهو نسخة من القرآن الكريم والذى ظل محتفظاً به حتى يوم وفاته .

انتقل بعد ذلك ريلكة إلى سويسرا التى قضى فيها الفترة الأخيرة من حياته وكان يلقى ترحيباً كبيراً من الأمراء والنبلاء الذين كانوا يحبون شعره، وفى هذه الفترة من حياته تعرف على فتاة مصرية بفندق سافوى بمدينة لوزان السويسرية ، كانت فتاة جميلة وجذابة ومثقفة ، وكانت فتاة من طبقة راقية تعلمت تعليماً أوروبياً ، وكانت تعيش فى أوروبا فقد كانت التقاليد المصرية فى ذلك الوقت لا تعطى الحرية الكاملة للمرأة ولا تعترف بمشاركة المرأة فى الحياة العامة ، فضلت " نعمت " الحياة فى أوروبا

لتنمتع بقسط من الحرية التي تناسب تعليمها الأوروبي، كانت " نعمت " تعيش في سويسرا بعد انفصالها عن زوجها الأول، وكانت تعرف اللغة الألمانية جيداً وتتحدثها بطلاقة ومنذ أول لقاء أحس ريلكة بعاطفة قوية ناحية " نعمت " وسرعان ما أحس بتفاهم متبادل وتوطدت العلاقة بينهما وأصبحا لا يفترقان أبداً وأحس ريلكة بالحب الدافئ العميق وأحس أن هذه التجربة أعظم تجربة عاطفية مر بها على الإطلاق، وظل ريلكة ونعمت مخلصين لبعضهما البعض حتى يوم وفاة ريلكة عام ١٩٢٦ وهو في الـ ٥١ من عمره وبعد عدة سنوات ماتت نعمت وهي منكبة على صورة ريلكة ورسائله وكتبه ، ويقول الدكتور " بديع حقي " في كتابه " ريلكة - أمير شعراء ألمانيا " : " إن الشاعر قد مرض بمرض اللوكيميا وهو زيادة كرات الدم البيضاء ، ويسمى أحياناً باسم سرطان الدم وهذا الرأى فى مرض ريلكة فى الغالب كان صحيحاً " .

ومازال اسم ريلكة حتى اليوم يزداد لمعناً وتألقاً بين نجوم الأدب الإنسانى أما أشعاره فإنها تنتقل بالترجمة من لغة إلى أخرى حتى أصبح له مكان مرموق فى كل لغات العالم الحية.

